أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شأو
الضليع فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين
ونظم بيتاً أو بيتين واستقلت من هذا المقام الذي
فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين
قيمة المرء ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب
رجل وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار فلما
لم يسعف بالإقالة ولا أعفي من المقالة لبيت دعوته تلبية
المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وأنشأت
على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة
وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله
ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب
ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات
ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية
مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت
روايته إلى الحارث بن همام البصري وما قصدت بالإحماض
فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم أودعه
من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية
المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة
الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب حلوه

ومره

ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء
مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد
الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن
أنفه بكفه فألحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً على
أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي
لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل يضع مني
لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد
الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر في مباني الأصول نظم
هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها مسلك
الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه
عن تلك الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات
ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود
الدينيات فأي حرج على من أنشأ ملحاً للتنبيه لا للتمويه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)